

## بعد كشف المسكوت عنه في "حرملك" العثمانيين

## ما هو "ثالوث" مخالفة الفطرة الإنسانية؟

مـن الناحية اللغوية، تعنى كلمة شـذوذ، تشـوّه الخلقة والخروج عن الفطرة السـليمة، ووصف "العثمانية" بالدولة الشاذة ليس أكثر من وصف حقيقي لبعض سلاطين الترك.

والشــذوذ في الدولة العثمانيــة لا يقتصر على أمر واحد خالفوا فيه الفطرة الســليمة أو حتى قوانين الدول التي ســبقتهم ولحقتهم، بل إن المنظومة بالكامل خالفت المألوف، سواء من الناحية الإنسانية بتأسيسهم أول مؤسسات عبودية بالكامل لاسترقاق البشر، أو من خلال النظــم الاجتماعية التــي عملت على تجويع النــاس وإفقارهم، ووصولًا إلى قوانيــن القتل التي شـرعنوها فقتلوا إخوتهم وأبناءهم قبل أن يسفكوا دماء المسلمين.

لذلك فإن كشـف المستور عن الحرملك وتحويله على يد سـلاطين العثمانيين إلى ساحة يرتكبون فيها الأفعال المخالفة للفطرة الســليمة، ليس أكثــر من جزء يكمل الصورة الكاملة عن بنی عثمان. ورغم أن سلاطين الترك حين أسسوا الحرملك ليجعلوه مكانًا مخصصا لنسائهم

وجواريهـم، فرضوا عليه السـرية التامة والقوانيـن الصارمة؛ بل قتلـوا كل رجل غريب حاول أن يعــرف ماذا يدور فــى هذا الجزء الغامض مــن قصر الحكــم، إلا أنه في النهاية ظهــرت الوثائق التاريخية التي كشفت كل شيء. تلك الوثائق أوضحت أن الخروج عن الفطرة السـليمة سيطر على أضلاع مثلث الحرملك

الثلاثة وهم "الأطفال، الجواري، العادات الحرملكية". فمن ناحية الأطفال، كان السفير الإيطالي

منظومة الأفعال المنافية للفطرة السليمة داخل الحرملك في كتابه "ســراي السلطان" الذي أصدره منتصف القرن السابع عشـر. ويسلط بون الضوء على العبيد والأطفال الذين تعرضوا للإخصاء كشرط للعمل داخل الحرملك، فيقول أن سلاطين الترك أطلقوا على هؤلاء الأطفال الخصيان أسماء زهور مثل ورد، نرجس، قرنفل، وهي كلها أسماء لها دلالات أنثوية أصر بنو عثمان عليها. لكن ما ذكره أتفيانو بون، ليس إلا مقدمة لسلوكياتٍ أبشع، ومشاهد لم ترد إلا في

في الدولة العثمانية أتفيانو بون أول من كشف عن

أجبر العثمانيون أطفال الحرملك على التسمي بأسماء ذات دلالات أنثوية.

ظاهرة الـ"كوجيك" دلالة على

فجور بعض السلاطين.

منذ القرن السادس عشر، والمقصود بها الأطفال الصغار الذين يتم تربيتهم وتدريبهم على الرقــص الماجن المثير، ويُجبرون على ارتداء ملابس النســاء ووضع أدوات الزينة الكاملة، وكانت ملابسهم عبارة عن سـترة مخملية مطرزة حمراء اللون وبنطال فضفاض فوقـه تنورة طويلة وحزام من ذهب. خضع هـؤلاء الأطفال للرغبات الدنيئة

الحكايـات، فكما توضح المصادر التاريخية، فإن سـلاطين العثمانيين ابتدعوا ظاهرة الـ "كوجيك"

الحرملك، ونتيجة ذلك أصيب كثير من الـ "كوجيك" باضطرابات نفسـية نتيجة إجبارهم على مخالفة فطرتهم. وإذا كان هذا حال الأطفال والغلمان، فإن الجواري لم يَكُنَّ أفضل حالًا، فالمصادر التاريخية

لبعض سلاطين الترك بشكل شبه يومى في

امتـلأت بالحديث عن جـواري سـلاطين الترك وكيف تحولن إلى زوجات، لكن الســؤال الذي لم يطرحه كثيرون ماذا عـن الجواري الذين لم ينلن رضا السلطان. تحدثنا المرويات التاريخية أن سـلاطين الترك لم يكتفوا بقوانين الاستعباد المفروضة على الجــواري داخل الحرملك، فأصدروا أول قانون في العالم يعاقب الجارية التي لا تعجب الســلطان،

يُجمعن في غرف متقاربــة ليقضين حياتهن مع بعضهن البعض حتى الموت. هــذا القانون الشــاذ كان هو الســبب في أن آلاف الجــواري قضين حياتهــن داخل الغرف المغلقــة لا يعرفن أحدا ولا يعرفهن أحد، محرومات من أبســط حقوق العبيــد، وفي النهاية تُقتل أحلامهن وتنتهي حياتهن دون أي اكتراث من الســـلاطين الذين تفننوا في استعباد الناس وخرجوا عن أي مألوف.

فقــد ابتدع ســلاطين العثمانيين قانونًا قضى بأن الجواري اللاتي لم ينلن استحسـان الســلطان

أضف إلى ذلك الحفلات الماجنة التي كان يقيمها سـلاطين الترك داخل قصور الحكم، التي امتلأت بمشاهد الفسـق والفجور، ويكفى القول أن العثمانيين أول من ابتدعوا الأحواض الكبيرة التـي تمتلـئ بالحليب ويجلس فيهـا الجواري قبل أن يأتي السـلطان للاسـتحمام، ولأن بعض الجواري لــم يكن لهن أي علاقة اختــلاط بالرجال قبل دخول الحرملك، فإن تلك المشـاهد خلقت فيهن اضطرابات نفســية جعلتهن غير سويَّات نفسيًّا طيلة أعمارهن.

فالخروج عن المألوف عند ســلاطين العثمانيين لا حدود له، فخير الدين آغا، رئيس الآغوات

في عهد عبد الحميد الثاني (1876-1909)، يكشــف في مذكراته التي حملت عنوان "أسرار الحرم"، أن حوائط الحرملك مكتوب عليها الكثير من الأشـعار الماجنة التي تسـاهم في الإثارة الجنسـية، بل وصل الحد إلى أن بعــض المؤرخين الغربيين خجلوا من تدوين كل ما كان يُكتب على تلك الحوائط لأنه فاق تصوراتهم كثيرًا. الضلــع الثالث مــن أضلاع المثلــث، أي العــادات الحرملكية التي وُصفت أيضًا بالشــاذة

والخروج عن المألوف، فيروي الإيطالي أتفيانو بون في كتابه "ســراي الســلطان" أن الشذوذ وصل

إلى سـلوك فتيـات الحرملك حتى فـي طريقة تناولهن الطعـام، إذ كان يُقدم لهـن فوق الجلود البلغارية والأرائك، ولا بد من الجلوس بطريقة فيها إغراء للسلطان؛ ليراهن ويختار منهن من يريد. حتى الأعياد لم تسـلم من الخروج عن المألوف أيضًا، ويتضح ذلك في أحد أعياد الحرملك المُســمي "البايرام" وفيه تتحلى الســلطانات بأبهى الحلى والفخامة غير المحدودة، لكن مقابل ذلك يخضعن الجواري للفقر والجوع لكي يســتمتع الســلطانات، كيوم خصصه ســلاطين الترك

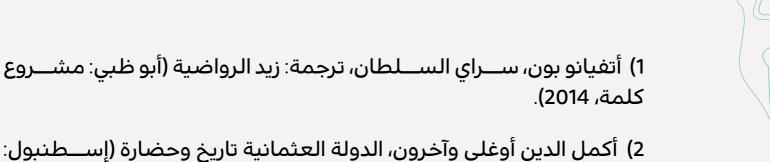
> الغريب أن يصيب الكثير من الجواري والغلمان الجنون، وهو ما يكشف عنه خير الدين آغا في مذكراته، أسرار الحرم، فأوضح أن سلاطين الترك احتجزوا الآلاف مـن العاملين في الحرملك فيما يشــبه مستشــفي الأمراض النفســية بســبب التشـوهات التي حدثت لهم نتيجة ما شـاهدوه وأُجبروا عليه، وظل كل هذا طي الكتمان حتى سـقطت الدولة العثمانية وعـرف الجميع ماذا كان يـدور فـي هذا الجـزء الغامض المسـمي الحرملك في قصور الحكم.

في وسـط تلك القوانين الشـاذة وحياة

الفسق والفجور واسـتعباد الجميع، لم يكن من

تسببوا في إصابة الآلاف من عاملي الحرملك بأمراض نفسية.





مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، 1999). 3) خير الدين آغا، أسرار الحرم في البلاط العثماني مذكرات رئيس الأغوات في

4) ماجدة مخلوف، الحريم في العصر العثماني (القاهرة: دار الآفاق، 1998م).

5) محمد أبوعزة، عصر السلطان عبد الحميد (بيروت: المنارة، 1997م).

قصر السلطان عبد الحميد الثاني (طرابلس: مكتبة السائح، د. ت).

6) محمـد جميل بيهـم، أوليات سـلاطين تركيـا المدنيـة والاجتماعية والسياسية (صيدا: مطبعة الوفاق، 1930م).

7) محمد سهيل طقّوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط2 (بيروت: دار النفائس، 2008م).

للقهر والظلم.